نفسى معهم فكان اذا اطالوا الجلوس عنده يشير اليهم بعض الصحابة مثل ابى بكر وغيره ان يقوموا
حتى يستريح رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض شؤونه فهذا من غيرة الله لعبده الفقير المنكسر وهو
من اعظم دليل على شرف العبودية والاقامة عليها وهو المقام الذى تدعوا الناس اليه فان جميع
النفوس كبر عندهم رب الجاه ورب المال لان العزة والغنى لله تعالى فحيث ما تجلت هذه الصفة
تواضع الناس وافتقروا اليها ولا يفرقون بين ما هو عز وغنى ذاتى وبين ما هو عرضى الا بحجر
مشاهدة هذه الصفة ولهذا يعظم فى عيون الناس من استغنى عنهم وزهد فيما فى ايديهم فترى الملوك
على ما هم عليه من العزة والسلطان كالعبيد بين يدى الزهاد وذلك لغناهم بالله وعدم
افتقارهم اليهم فى عزهم وما فى ايديهم من عرض الدنيا فاذا التمس الفقير من الغنى بالمال شيئا من عز او
مال سقط من عينيه بقدر ذلك مع كونه يبادر لقضاء حاجته حتى لو وزنت مرتبته فى قلب
الملك قبل طلب تلك الحاجة ووزنت بعد طلب الحاجة نقصت عنها بقدر ما طلب فصفة الحق هنا
حيث ما ظهرت محبوبة مطلوبة عند الناس الذين لا يفرقون بين ظهورها عند من يستحقها و
بين ظهورها عند من لا يستحقها ولو علم هذا الجاهل ان افقر الناس الى المال اكثرهم مالا وذلك
ان الفقير المدقع محتاج بالضرورة الى ما يسد به خلته فهو فقر ذاتى والغنى بالمال مع كثرة ماله
بحيث لو قسمه على عمره وعمر بنيه وحفدته لكفاهم ومع هذا يترك اهله وولده ويسافر
بماله ويخاطر فى البحار والاعداء وقطع المفاوز الى البلاد القاصية شرقا وغربا فى اقتناء درهم زايد
على ما عنده لشدة فقره اليه وربما هلك فى طلب هذه الزيادة وغرق ماله او اخذ وربما
استوسر فى سفره او قتل ومع هذه المضنات كلها لا يترك سفرا فى طلب هذه الزيادة فلولا
جهله وشدة فقره ما خاطر بالانفس فى طلب الاخس فالفقير الزاهد يرى ان هذا الغنى افقر
منه بكثير وهو فى فقره مذموم وان هذا الزاهد لولا غناه بربه عن هذه الاعراض لكان
اشد حرصا فى طلبها من التجار والملوك ولنا فى هذا المعنى ابيات منها بالمال ينقاد كل صعب
من عالم الارض والسماء ويحسبه عالم حجابا لم يعرفوا لذة العطاء لولا الذى فى النفوس منه
لم يجب الله فى الدعاء لا تحسب المال من تراه من عسجد مشرق الرآء بل هو ما كنت يا بنى
به غنيا على السواء فكن برب العلى غنيا وقابل الحق بالوفاء ولنا فيه آمال يصلح كل شئ
فاسد وبه يزول عن الجواد عثاره وهذه حالة اغفلها اهل طريقنا ولولا ان الغنى بالله تعالى من
اعظم المراتب وحجبهم ذلك عن التحقق بالتنبيه على الفقر الى الله الذى هو صفتهم الحقيقية
فجعلوها فى الغنى بالله بحكم التضمين لمحبتهم فى الغنى الذى هو خروج عن صفتهم والرجل انما
هو من عرف قدره وتحقق بصفته ولم يخرج عن موطنه وابقى على نفسه خلعة ربه ولقبه

واسمه

واسمه الذى لقبه به وسماه فقال انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد فلرعونة النفس و
جهالتها ارادت ان تشارك ربها فى اسم الغنى فرات ان تسمى بالغنى بالله وتتصف به حتى يطلق
عليها اسم الغنى وتخرج عن اسم الفقير فانظر ما بين الرجلين وما رايت احدا من اهل طريقنا اشار
الى ما ذكرناه اصلا من غوايل النفوس المبطونة فيها الا الله تعالى فهو الذى نبه عباده عليها
وبعد هذا فما سمعوا وتعاموا وكم جهدت ان ارى لاحد فى ذلك تنبيها عليه فما وجدت واسال
من الله تعالى ان لا يجعلنا ممن انفرد بها وان يشاركنا فيها اخواننا من العارفين واما اصحابنا
فانهم اخذوها عنا وتحققوا بها فى نفوسهم وما بقى عليهم فيها الا التخلق بها وان تكون صفتهم دائما
ولكن بعد ان عرفوا ولا دونا هذه المرتبة وتنبهوا اليها جهل الناس من العارفين من ذلك
فقد حصل لهم خير كثير منعهم هذا القدر ان يسيئوا الادب مع الله تعالى ومن اساءة
الادب فى طريق الله وهو مما يستدرج الله به العارفين عزة الشيوخ على اتباعهم من المريدين
بما افتقروا اليهم فيه من التربية وامتنانهم عليهم فان الشيخ اذا لم يوف هذا المقام حقه تحجبه فقر
المريد اليه عن فقره الى ربه حالا ويكون مشهده عند ذلك غناه بالله والغنى اسم يطلب
العزة وحال المحقق صاحب هذا المقام اذا راى المريدين يفتقرون اليه فيما عنده من الله يشكر
الله على ذلك حيث الزمهم الله بهم فقراء اليه يغنيونه به بصفة فقرهم على افتقاره الى الله فانه ربما لو لم
تظهر صفة فقرهم اليه لنسى فقره الى الله فهكذا هو حال الشيخ المحقق فينظر هذا الشيخ حق
المريد عليه اعظم من حقه على المريد فالمريد هو شيخ الشيخ بالحال والشيخ هو شيخ المريد بالقول و
التربية فان كنت عاقلا فقد نبهتك على الطريق الانفس فاعمل عليه فما ابقيت لك فى النصيحة ولنا
انا عبد والذل بالعبد اولى لا ارانى للعز بالحق اهلا فانظرونى فكلما قلت قولا كان قولى
حالا وعقدا فعلا ان غيرى يقول انى عبد فاذا ما سبيته قال مهلا فيايها الولى الحميم
لا تتبع العلم بالظن فاخسر الاخسرين من كانت حاله هذه فعزة الايمان اعلى وعزة الفقر اولى
فليكن شانك تعظيم المومن الفقير على المومن الغنى بماله العزيز بجاهه المحجوب عن نفسه فان الفقير
المومن هو مجلى حقيقتك وانت ما امرت بما هدة نفسك خدر الخروج عن طريقتها فالفقير المومن
مراتك ترى فيه نفسك والمومن الغنى بالمال عنك هو مراة لك صديت فلا ترى نفسك فيها فلا
تعرف ما طرا على وجهك من التغيير فما عتب الله نبيه سدى بل ابان والله فى ذلك عن ارفع طريق
الهدى وزجر عن طريق الردى فقال كلا ردعا وزجرا لحالة تحجبك عن ما ذكرته لك فى هذه
النصيحة فلا تعدل بالغنى والعزة مستحقها وهو الله تعالى تكن من العلماء الكمل الذين لم يدنسوا
علمهم بغفلة ولا نسيان معذرة وبعد ان ابنت لك عن الطريقة المثلى التى غاب عنها الرجال

Copyright © King Saud University